حياة لا تُطاق

الآثار الصحية الناجمة عن الإجراءات الإسرائيلية لإجلاء سكان مسافر يطا قسراً

MEDECINS SANS FRONTIERES

أطبّاء بلا حدود

مارس 2023

WWW.MSF.ORG

حول أطباء بلا حدود

هي منظمة طبيّة إنسانية دولية مستقلة غير حكوميّة، نقدّم المساعدات الطبيّة إلى الأشخاص المتضررين من النزاعات والأوبئة والكوارث أو المحرومين من الرعاية الصحية. تتكوّن طواقمنا من عشرات الآلاف من المهنيين الصحيين والموظفين اللوجستيين والإداريين – ويُعيَّن معظمهم محليًا. يرتكز عملنا على الأخلاقيات الطبيّة ومبادئ الاستقلالية والحياد. نحن منظمة لا تتوخى الربح وذات حكم ذاتي وقائمة على الأعضاء.

تأسّست منظمة أطبّاء بلا حدود في العام 1971 في باريس على يدّ مجموعة من الصحفيين والأطبّاء. واليوم، توسعت هذه المنظمة لتصبح حركة عالمية تضمّ أكثر من 65,000 شخص تربط بينهم المبادئ الواردة في ميثاقنا.

منظمة أطباء بلا حدود في الأراضي الفلسطينية المحتلة:

تعمل منظمة أطباء بلا حدود في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1989. وتقدم المنظمة الدولية الطبية الإنسانية المساعدة الطبية والنفسية الاجتماعية لتسهيل وصول خدمات الرعاية الصحية للفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال والحصار المستمر. وفي الضفة الغربية، تُدير منظمة أطباء بلا حدود مشاريع الصحة النفسية وتقدم خدماتها للسكان في نابلس والخليل وطوباس وقلقيلية. كما تقدم المنظمة خدمات الرعاية الصحية الأساسية للنساء والأطفال في المنطقة المعروفة ب "H2" في الخليل وفي مسافر يطا.

قائمة المحتويات

06 الملخّص

08 نطاق ومنهجية التقرير

09 السياق العام

14 الحياة في ظل الخوف المستمر، معاناة سكان مسافر يطا اليومية

15 تعدد الحواجز يُعيق وصول السكان للرعاية الصحية

18 تعطيل تقديم الرعاية الصحية يؤدي لزيادة المخاطر الصحية

22 المعاناة اليومية تترك عبئاً هائلاً على الصحة النفسية للأفراد

25 الإستنتاجات

26 المطالبات والتوصيات

الصور بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

محمود، أحد سكان المركز في مسافر يطا، والذي هُدم منزله في شهر أيار عام 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/منظمة أطباء بلا حدود

المُلخّص

تفرض السلطات الإسرائيلية ضغوطاً هائلة على سكان مسافر يطا، في الضفة الغربية، لكي يغادروا المنطقة، مما قد يرقى إلى كونه نقلاً قسرياً وهو أمر محظور بموجب القانون الدولي الإنساني. فبالإضافة لهدم منازل السكان، قامت السلطات بنصب الحواجز ومصادرة المركبات وفرضت حظر التجول وفرضت قيوداً إضافية على الحركة. ومنذ شهر أيار عام 2022، كثفت السلطات هذه الإجراءات وذلك بعد أن أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية حكماً لإزالة كافة القيود القانونية التي تعيق التهجير القسري للفلسطينيين من مسافر يطا لإفساح المجال لإقامة منطقة عسكرية. مما أدى الى تعطيل واعاقة حركة السكان في المنطقة الأمر الذي أثر على الصحة النفسية للسكان ووصولهم الى الخدمات الرئيسية بما في ذلك الرعاية الطبية.

تقدم منظمة أطباء بلا حدود خدمات الرعاية الصحية الأولية من خلال العيادات المتنقلة لسكان مسافر يطا منذ عام 2021، كما تقدم خدمات الصحة النفسية في محافظة الخليل منذ عام 1996. وشهدت فرق منظمة أطباء بلا حدود عن كثب أثر البيئة القمعية على الصحة النفسية والجسدية لسكان مسافر يطا.

وبسبب القيود على الحركة، يعجز مرضى أطباء بلا حدود من القرى المجاورة عن الوصول للقرية حيث تقدم المنظمة خدماتها إذا أظهرت بطاقات هوياتهم أنهم ليسوا من القرية التي يحاولون الوصول لها. وللمحافظة على توفر خدمات عياداتها، اضطرت المنظمة أن تتكيف أنشطتها من خلال تغيير برنامج وموقع العيادات المتنقلة بشكل متكرر. ولكن هذه التغييرات المتكررة وانعدام انتظام الخدمات يؤدي إلى المزيد من الشكوك حول إمكانية الوصول للرعاية الصحية. بالإضافة إلى ذلك، فإن العديد من السكان أبلغوا منظمة أطباء بلا حدود أن عدم الانتظام في الوصول للرعاية الصحية في مسافر يطا أجبر الأفراد الأكثر عرضة للمشاكل الطبية، كالنساء الحوامل في آخر ثلاثة أشهر من الحمل، والكبار في السن، والمرضى الذين يعانون من أمراض خطيرة ومزمنة، على مغادرة منازلهم وترك عائلاتهم والانتقال لمدينة يطا حيث توفّر المراكز الصحية.

كما يُجبر السكان الذين يواجهون صعوبات في الوصول إلى الرعاية الصحية أيضاً على تغيير سلوكياتهم كتأخير طلب الدعم الصحي، وتغيير نظامهم الغذائي بسبب الصعوبات المالية، كما يواجهون صعوبة في الوصول لمياه الشرب، وكل هذه العوامل تؤثر بشكل سلبي على الصحة الجسدية.

إضافة إلى ذلك، فإن العنف السياسي، وبالتحديد الترحيل وهدم المنازل واقتحام المنازل، يسبب معاناة لا داعي لها وخوف دائم ويؤذي الصحة النفسية للأفراد وقدرتهم على عيش حياة كريمة. ولاحظت منظمة أطباء بلا حدود بين عامي 2021 و2022، ارتفاعاً بارزاً في أعداد سكان مسافر يطا الساعين للحصول على الدعم النفسي بعد معاناتهم من اقتحامات المنازل وهدم البيوت والممتلكات الأخرى. وبعد هذه الأحداث، أبلغ أكثر من نصف المرضى في عام 2022 عن أعراض نفسية جسدية، وأظهر ربعهم أعراض ما بعد الصدمة كما وصف ثلثاهم معاناتهم من أعراض الاكتئاب.

إن تراكم الإجراءات القمعية والعنف السياسي يجعل الحياة لا تطاق في مسافر يطا ويخلق بيئة من الإكراه تجعل السكان يواجهون خطر التهجير فيما يمكن أن يرتقي لمستوى النقل القسري.

تستنكر منظمة أطباء بلا حدود السياسات الإسرائيلية وتطالب السلطات الإسرائيلية بإيقاف خطط الترحيل فوراً وبإيقاف الإجراءات التقييدية التي تعيق وصول الفلسطينيين في مسافر يطا للخدمات الأساسية بما فيها الرعاية الصحية. كما تدعو منظمة أطباء بلا حدود المجتمع الدولي ليتخذ كل الإجراءات اللازمة لحماية سكان مسافر يطا لضمان احترام حقوقهم الإنسانية.

مسافر يطا، الضفة الغربية. الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

مسافر يطا، الضفة الغربية. الصورة بعدسة – ألفريدو كاليز

نطاق ومنهجية التقرير

منذ عام 2021، تستمر منظمة أطباء بلا حدود في تقديم الخدمات الطبية لسكان مسافر يطا في تلال جنوب الخليل في الضفة الغربية عبر العيادات المتنقلة، كما تقدم رعاية الصحة النفسية في محافظة الخليل منذ عام 1996. وبفضل عملنا على قرب من المجتمع، تمكنا من أن نشهد أثر الإجراءات الإسرائيلية الإكراهية، والتي اشتدت وتيرتها عام 2022، على كافة مناحي الحياة اليومية لسكان مسافر يطا.

يوضح هذا التقرير أن استمرار الاحتلال، لا سيما الإجراءات التي يبدو أنها تهدف الى دفع سكان مسافر يطا لترك منازلهم وأرضهم، قد أثرت على حرية حركة السكان وصحتهم الجسدية والنفسية، وقدرتهم على الوصول للخدمات الأساسية.

استُخدمت بيانات نوعية وكمية تم تجميعها بين مايو/أيار عام 2021 وديسمبر/كانون الأول 2022 لإصدار هذا التقرير، وتشمل:

- مقابلات فردية ونقاشات لمجموعات مركّزة من سكان قرى مسافر يطا (أم قصة، أم الخير، المجاز، المركز، جنبا، شعب البطم، أصفية الفوقا؛) وشملت المقابلات، ولكن لم تقتصر على، مرضى أطباء بلا حدود.
- مقابلات مع طاقم منظمة أطباء بلا حدود الطبي وغير الطبي في الخليل.
- مقابلة مع جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.
- سجلات البيانات الطبية وبيانات الصحة النفسية لمنظمة أطباء بلا حدود مع إغفال الأسماء.
- تقييمات وتقارير منظمة أطباء بلا حدود حول معوقات الوصول لخدمات الرعاية الصحية في مسافر يطا في الضفة الغربية.
- استجابة منظمة أطباء بلا حدود لبلاغات الحوادث.

السياق العام

الحياة في ظل الاحتلال

جَملة، من سكان خربة الفقيه في مسافر يطا، دُمّر منزلها 3 مرات في عام 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

لم تكن حياة الفلسطينيين في ظل الاحتلال سهلة أبداً، لكن حتى أكثر الأوضاع سوءاً قد تصبح أسوأ. في عام 2022، شهدت منظمة أطباء بلا حدود بشكل مباشر على أثر البيئة التي تزداد عدائية على أمن وصحة الفلسطينيين سكان الضفة الغربية. ووفق مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، كان **عام 2022 العام الأكثر دمويةً للفلسطينيين في الضفة الغربية منذ أن بدأت الأمم المتحدة تسجيل الضحايا بانتظام**[1].

حيث قتلت القوات الإسرائيلية 152 فلسطينياً -منهم 35 طفلاً- في الضفة الغربية في عام 2022 وحده. وفي نفس العام قُتل 21 إسرائيلياً – بينهم طفل واحد- على يد فلسطينيين، حسب نفس المصدر. وتضمنت موجة العنف الاستخدام المفرط للعنف من الجنود الإسرائيليين وازدياد هجمات مجتمعات المستوطنين الإسرائيليين على الفلسطينيين[2]. وفي عام 2022، سجل مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية إصابة 9873 فلسطينياً على يد القوات الإسرائيلية و621 هجوماً من المستوطنين في الضفة الغربية وحدها[3]. ومن علامات البيئة القسرية ازدياد هدم المنازل، حيث تم تهجير 697 فلسطينياً على

1 Data on casualties | United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs - occupied Palestinian territory (ochaopt.org)

2 *West Bank Protection Consortium. Israel's Use of Live Ammunition in the West Bank: A Visual Guide. November 2022.* WBPC. Visual Guide. Use of live ammunition. Nov 2022.pdf - Google Drive; *OHCHR. (2022, December 15). Israel: UN experts condemn record year of Israeli violence in the occupied West Bank [Press release].* Israel: UN experts condemn record year of Israeli violence in the occupied West Bank | OHCHR

3 *OCHA Protection of Civilians Report, 20 December 2022 – 9 January 2023* Protection of Civilians Report | 20 December 2022 – 9 January 2023 | United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs - occupied Palestinian territory (ochaopt.org)

إثر هدم المنازل في الضفة الغربية عام 2022، كما تم إعطاء 1584 أمر هدم في محافظة الخليل وحدها[4] حصلت منها مسافر يطا في جنوب الضفة الغربية على النصيب الأكبر، حيث يواجه أكثر من 1000 شخص من سكانها خطر الإجلاء القسري، مما قد يرقى لمستوى النقل القسري.

"إذا فقدت أرضي أفقد حياتي"

يوسف*،
أحد سكان المجاز في مسافر يطا

محمود، من سكان المركز في مسافر يطا، دُمّر منزله في شهر مايو عام 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

تفشي العنف يؤدي الى ازدياد الحاجة للرعاية الطبية، ولكن الحصول على الخدمات الصحية وتقديمها يُصبح أكثر صعوبةً وأكثر خطراً. في شهر أكتوبر/تشرين الأول عام 2022 وحده، سجلت منظمة الصحة العالمية حدوث 43 هجوم ضد مقدمي الرعاية الصحية في الضفة الغربية، و29 عملية إعاقة لتقديم خدمات الرعاية الصحية (بما في ذلك إعاقة وصول 28 سيارة إسعاف)، واعتقال أو احتجاز 12 عامل في المجال الصحي، و18 حالة اعتداء جسدي ضد عمال في المجال الصحي، وسيارات إسعاف ومرافق صحية[5]. وتشكل حالات العنف وإعاقة العمل خطراً على قدرة مقدمي الرعاية الصحية على تقديم الرعاية الصحية للسكان المحتاجين كما يضمنه قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الدولي الإنساني. وبالرغم من أن إحصائيات العنف الجسدي مريعة، إلا أنها لا تعكس خطورة الشعور بانعدام الأمن والإذلال الذي يُبلّغ عنه الكثير من الفلسطينيين في مسافر يطا بشكل يومي.

4 هيئة مقاومة الجدار والاستيطان - (cwrc.ps)

5 *WHO Monthly report on health access. October 2022.* Oct_2022_Monthly.pdf (who.int)

مسافر يطا – منطقة تصنفها إسرائيل على أنها «منطقة إطلاق نار"

الإطار المرجعي القانوني

"يوماً ما، سيتم إجبارنا على الرحيل لأنه لن يتبقى أي شيء لنا"

ليلى*،
إحدى سكان جنبا في مسافر يطا

مسافر يطا. الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

مسافر يطا هي منطقة صحراوية في جنوب الضفة الغربية يسكنها 1144 فلسطيني بينهم 569 طفلاً موزعين على 12 قرية. وقد تغيرت حياتهم، بشكل جذري في ثمانينيات القرن الماضي عندما أعلنت السلطات الإسرائيلية الأرض التي بُنيت بيوتها عليها ك "منطقة عسكرية مغلقة" (أي "منطقة إطلاق نار 918"). وأدى هذا القرار الأحادي إلى اعتبار آلاف الفلسطينيين بأنهم يسكنون بشكل "غير قانوني" في منطقة إطلاق نار وأصبحوا يواجهون خطر الإخلاء القسري الفوري.

وحسب اتفاقية أوسلو والاتفاقيات التي تبعتها، أصبحت مسافر يطا جزءاً من "المنطقة C" في الضفة الغربية المحتلة في التسعينيات، وبالرغم من أن مفاعيل هذه الاتفاقية كان يجب أن تنتهي عام 1999 إلا أنها لم تصل إلى نهايتها. نتيجة لهذا، بقيت المنطقة تحت السيطرة المدنية والعسكرية الإسرائيلية[6]. نظرياً، يمكن للفلسطينيين البناء في " المنطقة C" بعد الحصول على تصريح خاص من "الإدارة المدنية" الإسرائيلية. ولكن على أرض الواقع يتم رفض 98 في المئة من طلبات التصاريح[7]. وهذا يجعل إمكانية بناء الفلسطينيين في مسافر يطا "قانونياً" شبه مستحيل، مما يجعلهم عرضة لهدم المنازل.

في عام 1999، تم طرد 700 فلسطيني من منازلهم في "منطقة إطلاق النار"، وبعد عدة أشهر تم إصدار أمر قضائي مؤقت من المحكمة العليا الإسرائيلية أدى إلى وقف خطر الإخلاء مؤقتاً وسمح للفلسطينيين المطرودين العودة لمنازلهم. ولكن لم يكن هذا القرار نهائياً، مما وضع سكان مسافر يطا تحت خطر الإخلاء والهدم والإخلاء القسري المحدق لأكثر من عقد.

في 4 مايو/أيار 2022، صرحت المحكمة العليا الإسرائيلية أنه لا يوجد "عوائق قانونية" تمنع الإخلاء، وبذلك أنهت الصراع القانوني الذي استمر لعقدين. وانتقد المجتمع الدولي بشكل واسع هذا القرار باعتباره يخل بالتزامات إسرائيل بحسب قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الدولي الإنساني. ونتيجةً لهذا القرار،

6 *Diakonia: International Humanitarian Law Centre 'The Israeli Supreme Court Decision Permitting Eviction of Palestinian Communities in Masafer Yatta' (13 May 2022), Available* here

7 *(Dis)Approvals for Palestinians in Area C – 2009-2020 (Peace Now, 31 January 2021).* (Dis)Approvals for Palestinians in Area C - 2009-2020 - Peace Now).

تواجه 211 عائلة فلسطينية (1144 شخصاً) خطراً محدقاً بالإخلاء والتهجير الاعتباطي والترحيل القسري[8]. إضافة لهذا، فبعد قرار المحكمة ازدادت الإجراءات القسرية في مسافر يطا بشكل واضح.

"لقد عشت في الحلاوة طيلة عمري ولكن الأشهر الثمانية الأخيرة هذه كانت أسوأ ما مررت به"

وليد*،

أحد سكان منطقة الحلاوة في مسافر يطا

صفاء، من سكان المركز في مسافر يطا، دُمّر منزلها في شهر مايو عام 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

يمكن القول بأن خطر التهجير يشكل مخالفة للقانون الدولي الإنساني والذي يجب على إسرائيل احترامه بوصفها قوة محتلة. ويمنع القانون الدولي الإنساني بشكل صريح "النقل الفردي أو الجماعي القسري" للأفراد في المناطق المحتلة إلا ضمن مجموعة محددة من الظروف[9]. كما يوضح مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، أن "الإخلاء القسري الناتج عن التهجير يمكن أن يُعتبر نقلاً قسرياً، والذي يُعتبر خرقاً جسيماً لاتفاقية جنيف الرابعة وبذلك تصبح جريمة حرب[10]." وكذلك يعتبر القانون الجنائي الدولي النقل القسري جريمة حرب وقد يرقى لمستوى جريمة ضد الإنسانية إذا تم كجزء من هجوم منتظم وواسع النطاق على السكان المدنيين[11].

وقد ترقى عمليات الإخلاء القسري لدرجة انتهاك صارخ لحقوق الإنسان، بالتحديد الحق في الحصول على مسكن ملائم والحق في ضمان عدم التدخل في الخصوصية والمنزل والعائلة[12]. وإن قرار محكمة محلية بمنح موافقتها على الإخلاء القسري لا يجعل هذا الإخلاء قانونياً إذا ما أخل بالتزامات الدولة في إطار قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الدولي الإنساني[13]. أخيراً، فإن حالات الإخلاء التي تؤدي إلى التهجير القسري تتعارض مع أُطر عمل القوانين غير الملزمة، من قبيل مبادئ الأمم المتحدة التوجيهية بشأن النزوح الداخلي والتي تنص على أن:

8 *'Fact sheet: Masafer Yatta communities at risk of forcible transfer' (UN OCHA, 6 July 2022) available* here

9 حرم اتفاقية جنيف الرابعة النقل القسري للسكان المدنيين من المناطق المحتلة إلا في حالات الإخلاء ضمن مجموعة محددة من الظروف. وقد يتم الإخلاء من أجل المحافظة على سلامة السكان المدنيين أو من أجل "أسباب عسكرية ملحة". ولكن هذا الإجلاء يجب أن يكون مؤقتاً. وأوضح خبراء قانونيون أن الاستحواذ على الأرض من أجل تدريبات عسكرية، خاصة إذا كانت هناك أرض أخرى متوفرة، على الأرجح لن يلبي المتطلبات اللازمة لاعتبارها أسباب عسكرية ملحة كما تم تصورها في القانون الدولي الإنساني.

10 *Fact sheet: Masafer Yatta communities at risk of forcible transfer' (UN OCHA, 6 July 2022), p3.*

11 *Rome Statue of the International Criminal Court (1998), Article 7(1)(d) and Article 8(2)(b)(viii)*

12 *International Covenant of Economic, Social and Cultural Rights (ICESCR), article 11; International Covenant on Civil and Political Rights (ICCPR), article, 12.*

13 *UN Office of the High Commissioner of Human Rights (OHCHR) 'Factsheet No 25: Forced Evictions' (United Nations, 2014), p5. Available* here

"لـكل إنسـان الحـق فـي الحمايـة مـن التهجيـر التعسـفي مـن مسـكنه أو مـن محـل إقامتـه المعتـاد[14]"

أدى قـرار المحكمة الإسـرائيلية العليا فـي مايو/أيار 2022 إلـى ارتفاع حاد فـي الإجـراءات العدائية التـي تطبقها السـلطات الإسـرائيلية فـي مسـافر يطـا مـن أجـل فـرض ضغـط هائـل علـى سـكان مسـافر يطـا لكـي يتركـوا منازلهـم. هـذه الإجـراءات تشـمل:

هدم المنازل والمدارس

إصدار أوامر الهدم

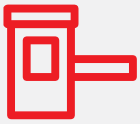

ازدياد الحواجز

مصادرة مركبات السكان

التدريبات العسكرية

فرض حظر التجول

واقتحام المنازل ليلاً, وقيود الحركة الأخرى،
وجعل حياة الناس لا تُطاق.

14 *United Nations, 'Guiding Principles on Internal Displacement', Principle 6, Article 1. Available here*

العيش في ظل خوف مستمر، معاناة سكان مسافر يطا اليومية

"أشعر بالخوف، بالخوف الشديد. هل توجد كلمة أكبر من الخوف لتعبر عما أشعر به؟"

أمل*،

إحدى سكان جنبا في مسافر يطا

صفاء، إحدى سكان أم قصة في مسافر يطا حيث هدم منزلها في مايو/أيار 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

تعيش مجتمعات مسافر يطا تحت تهديد هدم المنازل وخطر الترحيل، والازدياد الشديد في قيود الحركة بشكل دائم. ويواجه هذا المجتمع الرعوي التقليدي تحديات متزايدة في إطعام مواشيهم بسبب تقلص مناطق الرعي نتيجة لقيود الاحتلال الإسرائيلي، وهجوم المستوطنين على الرعاة وارتفاع أسعار الحبوب. وتؤثر قيود الحركة المشددة سلباً على الوصول لمصادر المعيشة والدخل مما يجبر العائلات على الاستدانة. وجعل حكم المحكمة الأخير والتطورات السياسية خطر التهجير الجماعي - والذي قد يرقى لحد النقل القسري- محدقاً أكثر وأكثر. وفي بعض القرى، صدرت أوامر هدم شملت كل المنازل، وعندما تحدث عمليات الهدم هذه تحصل بشكل غير متوقع. وينتقل الناس للعيش في خيم، ولكن حتى الخيم لا تسلم من الهدم.

"نعيش كأننا في سجن، حتى أقاربنا لا يستطيعون زيارتنا".
لمى*، إحدى سكان جنبا في مسافر يطا

يُفيد سكان مسافر يطا أنهم يعيشون في خوف مستمر على سلامتهم، ويخافون عند استخدام القنابل والرصاص الحي والدبابات في التدريبات العسكرية بجانب القرية. كما يشعرون بالخوف عند قدوم المستوطنين لقراهم والتعرض لأبنائهم في طريقهم للمدرسة، أو ليلاً عندما يسمعون صوت الجنود ويرون تحركاتهم وأضواء مصابيحهم اللامعة بين المنازل. كما يحرمهم القلق حول المستقبل وفقدان الأمل النوم ليلاً. ويقول الآباء والأمهات أنهم يشعرون أنهم لا يمكنهم حماية أطفالهم من العنف ويستذكرون المرات التي أيقظ فيها الجنود أطفالهم ليلاً باستخدام كلاب شرسة في غرف النوم أو عندما عاد الأطفال من مدرستهم ليجدوا أن منزلهم قد هُدم. ويشعر سكان مسافر يطا حسب تعبيرهم بالضعف والذل لأن هناك طرف آخر (الجيش الإسرائيلي) يقرر السماح لهم الدخول لقريتهم من عدمه. كل هذه العوامل تساهم في تقليل وصول الناس للرعاية الطبية وتؤدي إلى تداعي صحتهم الجسدية والنفسية.

"أسوأ ما يحدث هو اقتحامات الجنود للمنازل في الليل وبعد منتصف الليل، تجدهم فجأةً في منزلك. ويجب أن يخرج الجميع من المنازل بما في ذلك الرجال والنساء والأطفال، ثم يتم فصلنا عن بعض. ويفتش الجنود جميع المنازل وحظائر الحيوانات ثم يتم التحقيق مع الجميع حتى مع الأطفال".
ياسر*، أحد سكان تجمع أم الخير في مسافر يطا.

ا. تعدد الحواجز يُعيق وصول السكان للرعاية الصحية

لم يكن الوصول للرعاية الصحية سهلاً أبداً في مسافر يطا، لأنها منطقة صحراوية معزولة وتتصل قراها ببعضها البعض الآخر عن طريق شوارع غير معبدة. الخدمات المقدمة بشكل عام وبالأخص الخدمات الطبية محدودة. وتقدم وزارة الصحة الفلسطينية الرعاية الصحية الأساسية في عدة قرى في مسافر يطا ولكن هذه الخدمات مُتقطعة ويتم تعطيلها أحياناً وغير متوفرة ضمن "منطقة إطلاق النار". كما يجب أن يدفع المرضى مقابل هذه الخدمات ولا يتم توفير الأدوية لهم. **وتواجه جميع العيادات الصحية في مسافر يطا خطر أوامر الهدم كما تُصادَر سيارات وزارة الصحة عند تنقلها في "منطقة إطلاق النار"**.

بالإضافة لهذا، فإن خفض التمويل وجائحة كورونا أديا الى غياب الرعاية الطبية التي تقدمها المؤسسات المحلية في "منطقة إطلاق النار" مما دفع منظمة أطباء بلا حدود للبدء في تقديم الخدمات الطبية من خلال عيادة متنقلة في فبراير/شباط 2021. ويعتمد السكان عادة على أقاربهم لنقلهم للمستشفى لأن سيارة الإسعاف من مستشفى يطا (أقرب مستشفى رعاية ثانوية) مكلفة وتحتاج وقتاً طويلاً. ونتيجةً لهذا، يبقى **الوصول للرعاية الصحية عرضة لقيود الحركة**، ويجعل من غير المضمون حصول المرضى على الرعاية الطبية في الوقت المناسب.

"قبل ثلاثة أسابيع، انتظرنا لمدة ساعتين على حاجز تحت المطر الكثيف ومعنا طفل حديث الولادة".
زينة*، إحدى سكان جنبا في مسافر يطا

عند التنقل يواجه الناس الحواجز ذات البوابات المغلقة والجنود المسلحين، والكثبان الترابية التي تُغلق الطرق، ومصادرة سياراتهم، والتعرض للعنف والمضايقات. كما يتم إعاقة وصول الأقارب الذين يحاولون نقل أقربائهم إلى قرى مسافر يطا في بعض الأحيان، لأنهم لا يملكون بطاقات هوية تُشير إلى سكنهم في القرى نفسها. **ويُمنع وصول مرضى أطباء بلا حدود من القرى القريبة إلى القرية التي تقدم المنظمة خدماتها فيها إذا لم تُظهر بطاقات الهوية الخاصة بهم أنهم يسكنون في نفس القرية التي يحاولون الوصول إليها**. هذه العوامل تضيف المزيد من الشك والخطورة على رحلة الناس للوصول لكافة الخدمات بما في ذلك الخدمات الطبية، وتجعلها أكثر تكلفة وأطول، وقد تُصبح مستحيلة في بعض الأحيان. وهذا يُشكل أزمة بالأخص في حالات الطوارئ الطبية.

عادةً ما يُسافر سكان مسافر يطا إلى مدينة يطا للحصول على الرعاية الطبية، وهذا يشمل الرعاية الطبية الطارئة. وتتسبب قيود الحركة المُنهكة التي يفرضها الجيش الإسرائيلي في جعل هذا الخيار غير مضمون وأكثر كلفةً واستهلاكاً للوقت وإذلالاً وخطراً في أحسن الظروف، وتجعله غير متوفر في أسوأ الظروف. وعندما قامت أطباء بلا حدود بتقييم وصول الناس للرعاية الطبية في صيف 2022، كانت القيود التي تعيق الوصول للرعاية التي تم ذكرها بشكل متكرر هي "خطر العنف"، حتى في حالات الطوارئ الطبية.

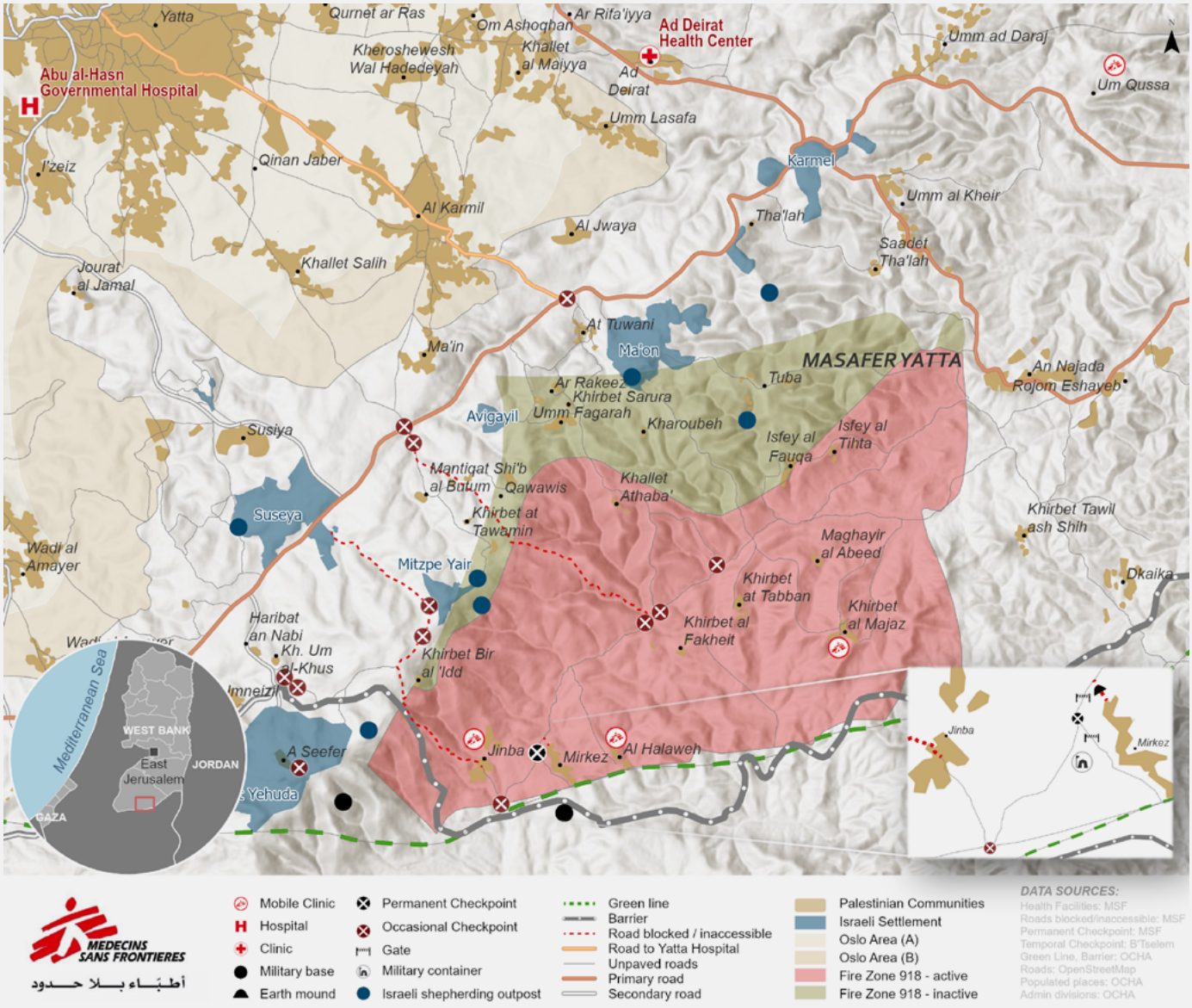

هذه الخريطة تظهر المعوقات التي تصعب وصول سكان مسافر يطا إلى مراكز الرعاية الصحية، ومنها الحواجز العسكرية الدائمة والمؤقتة والبوابات.

يصف زوجان مسنان قيود الوصول للرعاية الطبية في صيف عام 2022 قائلين:

سناء*: "أصبت بمرض الهربس النطاقي وكنت أعاني من ألم شديد، وكنت أشعر به في داخلي. ثم اتصلت بابني لكي يأتي ويقلني بسيارته إلى المستشفى، إلا أن الجنود الإسرائيليين أوقفوه بالقرب من تجمّع التواني. حدث هذا عند الساعة الرابعة عصراً وأبقوه هناك لمدة ثلاث ساعات بالرغم من أن سيارته كانت مسجلة. بعد هذا وصل منزلنا، ولكن رافقته سيارتان للجنود الإسرائيليين".

أحمد*: "حملت زوجتي إلى الطريق عندما رأيت أضواء السيارة، وبعدها أوقفني الجنود باستخدام الأسلحة. ثم سألوني "ماذا يحصل" باللغة العبرية وأخبرتهم أن زوجتي مريضة ثم سمحوا لها بالذهاب في سيارة ابننا".

اقتيدت سناء وابنها إلى الخيمة العسكرية عند الحاجز ولم يُسمح لزوجها بالقدوم. وعلى الحاجز العسكري تم تعصيب عيني الابن، وبعد هذا بفترة أزيلت العصابة عن الابن وسُمح له بمرافقة والدته المريضة.

سناء*: "كان هناك طبيبة عسكرية فحصتني ووجدت أني متعبة ومتوعكة. ثم قالوا أنهم سيأخذونني الى سوروكو [مستشفى إسرائيلي] وقالوا أنه ستتم مصادرة سيارة ابني وإنهم سيتركون ابني في منطقة قريبة من مسافر يطا من دون سيارة، وقد أثر هذا الحدث على ابني بشكل كبير".

وأفاد الزوجان أنهم أخيراً سمحوا لهم بأخذ السيارة والذهاب، وكانت الساعة الواحدة فجراً عندما وصلوا المستشفى في يطا. واضطرت سناء أن تبقى في يطا لمدة شهر كي تبقى قريبة من المستشفى، وبقي زوجها طوال هذه الفترة في بلدتهم ليعتني بالماشية.

أصبحت حوادث تعطيل عمل الطواقم والمركبات الطبية والاعتداء عليها أكثر شيوعاً. **وفي يوليو/تموز عام 2021، تمت مصادرة الحاوية النقّالة التي تقدم منها أطباء بلا حدود الاستشارات الطبية في أم قصة، بالرغم من وجود شعار المنظمة عليها بشكل واضح.**

وعلى نحو مُحرج، يقوم الجنود والمستوطنون الإسرائيليون بإعاقة أو تأخير وصول سيارات إسعاف الهلال الأحمر الفلسطيني عند استجابتها لحالات طوارئ في مسافر يطا. وفي شهر سبتمبر/أيلول عام 2022، عند الاستجابة لحالة طوارئ طبية في تجمع التواني (في مسافر يطا)، هجم مستوطنون على مسعفي وسيارة الإسعاف التابعين للهلال الأحمر الفلسطيني، كما احتجزت القوات الإسرائيلية المريض الذي كان في السيارة.

وأشار أحد أفراد الهلال الأحمر الفلسطيني الذي تمت مقابلته إلى أن "قوات الاحتلال الإسرائيلي احتجزت الشخص المصاب الذي حاولت طواقمنا تقديم الرعاية له لحوالي ساعتين داخل سيارة إسعاف الهلال الأحمر الفلسطيني حتى تم اعتقاله ونقله لسيارة إسعاف عسكرية".

خلال الهجوم قام المستوطنون بشق عجلتي سيارة الإسعاف من جهة السائق. ومنذ هذا الهجوم -بالإضافة للهجمات المتكررة ضد طاقم وسيارات الهلال الأحمر في أنحاء الضفة الغربية - ازدادت مخاوف طاقم إسعاف الهلال الأحمر الفلسطيني من الدخول الى مسافر يطا لتقديم الرعاية الطبية.

"رغم أن شعار الطاقم وسيارة إسعاف الهلال الأحمر الفلسطيني واضح، ولكن هذا لا يهم، و يشعر الطاقم بأنهم لا يتلقون أي حماية".
أحد أفراد الهلال الأحمر الفلسطيني.

وبالرغم من مصادرة الجيش الإسرائيلي للحاوية النقالة التي تقدم فيها منظمة أطباء بلا حدود استشارات الصحة النفسية في أم قصة عام 2021، لم تُمنع المنظمة من الدخول لمنطقة مسافر يطا. ولكن التدريبات العسكرية الإسرائيلية وازدياد قيود الحركة التي يفرضها الجيش الإسرائيلي (كالحواجز ومصادرة السيارات) زادت من صعوبة وصول مرضانا للعيادات المتنقلة التي ندیرها.

في يونيو/حزيران ويوليو/تموز عام 2022، عرف سكان مسافر يطا معنى "منطقة إطلاق نار" بشكل صريح وواضح عندما أجرى الجيش الإسرائيلي تدريباً عسكرياً لمدة شهر على أعتاب مساكنهم. وتم هذا التدريب بين القرى وبالقرب من منازل السكان وتم استخدام الدبابات والمتفجرات والرصاص الحي خلاله. وطُلب من السكان أن يتوقفوا عن الحركة بعد منتصف اليوم من أيام الإثنين حتى الأربعاء. وأخبرنا سكان مسافر يطا أن الأصوات أرعبت الأطفال. واضطرت منظمة أطباء بلا حدود إلى تغيير جدول عملها لمدة ثلاثة أسابيع للتسهيل على المرضى ولكن خلال الأسبوع الأخير تم إلغاء أنشطة العيادة المتنقلة حيث لم يصل لنا المرضى ومنع الخوف زملاءنا الفلسطينيين من الدخول للمنطقة.

١١. تعطيل تقديم الرعاية الصحية يؤدي لزيادة المخاطر الصحية

استمرت القيود على الحركة بعد انتهاء التدريب العسكري. ففي السابق، كانت عيادات أطباء بلا حدود المتنقلة تقدم الخدمات للمرضى من القرى المجاورة، ولكن سجَّل طاقم أطباء بلا حدود انخفاض أعداد المرضى ليشمل فقط سكان القرية التي توجد العيادة المتنقلة فيها، في أكثر القرى تقييداً كجنبا. **وخلال الشهور القليلة الأخيرة، اضطرت أطباء بلا حدود لتعديل ساعات وموقع عملها بشكل متكرر للتأقلم مع الظروف والحفاظ على توفر خدمات العيادة المتنقلة**. وبالرغم من أن هذا سمح لطاقم المنظمة الاستمرار بتقديم الرعاية الطبية لمرضانا، أدت هذه التغييرات المتكررة وعدم انتظام الخدمات حتماً للمزيد من التذبذب في الوصول للرعاية الطبية.

بين مايو/أيار وأكتوبر/تشرين الأول عام 2022، سجل طاقمنا انخفاضاً بنسبة 18 في المئة في عدد الاستشارات المُقدمة في العيادات المتنقلة مقارنة بنفس الفترة في عام 2021. وقد يُعزى الانخفاض جزئياً لإمكانية وصول المجتمع للخدمات ولكن يمكن أيضاً ربطه بانخفاض أعداد العيادات المتنقلة التي تم تنفيذها في نفس الفترة بما في ذلك إلغاء بعض أنشطتنا بسبب التدريب العسكري.

سارة، إحدى سكان تجمّع أم قصة في مسافر يطا. دُمر منزل ابنها في تموز/يوليو 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

وأبلغنا العديد من السكان شكّهم بإمكانية الوصول للرعاية الصحية في مسافر يطا والذي أجبر الناس الأكثر ضعفاً صحياً كالنساء الحوامل في آخر ثلاثة أشهر من الحمل والكبار في السن والمرضى بحالات خطيرة على مغادرة منازلهم وعائلاتهم والانتقال لمدينة يطا. إذ لم يكن لديهم أي خيار غير المغادرة ليكونوا أقرب إلى المرافق الطبية لضمان وصولهم للرعاية الطبية في الوقت المناسب الأمر الذي لا يمكنهم ضمانه في مسافر يطا[15].

"بالنسبة للنساء الحوامل فالأمر منوط بالحظ. إذا تمكنت من الوصول للمستشفى (دون أن يتم إرجاعها على الحاجز) ستكون بأمان. وإذا لم يحدث ذلك ستضطر للولادة على الطريق. ليكن الله في عوننا".
رغدة، أحد سكان أم قصة في مسافر يطا

إن آثار تراجع الوصول للرعاية الطبية ينعكس على البيانات الطبية لمنظمة أطباء بلا حدود. وعند مقارنة الفترة ما بين مايو/أيار وأكتوبر/تشرين الأول 2022 (الفترة التي ازدادت فيها الإجراءات التقييدية) بنفس الفترة من عام 2021، **لاحظت منظمة أطباء بلا حدود انخفاضاً بنسبة 27 في المئة في عدد الاستشارات المقدمة لأصحاب الأمراض المزمنة في العيادات المتنقلة[16]**. في الفترة بين مايو/أيار وسبتمبر/أيلول عام 2021، سجلت منظمة أطباء بلا حدود فقدان المتابعة بمعدل 1.2 مريض مزمن من المراجعين شهرياً، وتزايد هذا بشكل واضح ليصبح 4.6 مريض مزمن كل شهر يتوقفون عن المتابعة خلال نفس الفترة في عام 2022. وخلال مقابلات المتابعة مع أربعة مرضى من ذوي الأمراض المزمنة، قال ثلاثة منهم إنهم لم يستطيعوا القدوم بسبب مشاكل متعلقة بالوصول (على سبيل المثال مصادرة الجيش الإسرائيلي للسيارات وضرورة البقاء في يطا لمدة طويلة للبقاء بقرب المرافق الطبية).

وبناءً على إفادات مرضانا وسكان مسافر يطا، كان **من الواضح أن الناس الذين يحتاجون لرعاية طبية منتظمة كذوي الأمراض المزمنة، مضطرين لمغادرة مسافر يطا إذ لا يمكنهم المخاطرة بعدم الالتزام بحضور زيارات المراجعة الدورية لأن هذا سيؤدي لعواقب وخيمة على صحتهم.**

"حماتي مريضة وتعاني من مرض السكري وصعوبات في المشي. وقبل أسبوعين قررت الانتقال ليطا. قبل هذا كانت تذهب ليطا كل أسبوع ولكن الآن اضطرت للانتقال بشكل دائم بسبب الحاجز".
هدى*، إحدى سكان تجمع جنبا في مسافر يطا

كما أفاد الناس أنهم يؤخرون السعي للحصول على الرعاية الطبية بسبب ازدياد المخاطر المتعلقة بالسفر للمرافق الطبية في يطا، وبالتحديد أوضحوا أن صعوبة وتكلفة التنقل دفعت العائلات للاعتماد على آليات تكيف سلبية كتأجيل الفحوص الطبية وترك فترات بين أخذ الأدوية أو أخذ الأدوية بشكل ذاتي دون استشارة طبيب.

وكان طاقم منظمة أطباء بلا حدود شاهداً مباشراً على التبعات السلبية لتأخير الرعاية الطبية للمرضى. ففي إحدى الحالات، كانت رضيعة تبلغ من العمر عاماً واحداً مريضةً لأكثر من أسبوعين ولكن بسبب المخاطر على الطريق، لم تأخذها والدتها إلى الطبيب في يطا وبدلاً من ذلك انتظرت قدوم عيادة أطباء بلا حدود المتنقلة إلى قريتها، مما تسبب أيضاً في تأخر حصول الطفلة على اللقاحات اللازمة لعمر العام. كما وصف رجل آخر تقطع حصوله على دواء لمرض مزمن بسبب عدم مغادرته المنزل لخوفه من الجنود الإسرائيليين.

15 اعتادت النساء الحوامل في مسافر يطا لفترة طويلة على الانتقال ليطا خلال آخر أسابيع الحمل أو عند بدء الانقباضات. وحالياً أصبحت العادة المنتشرة للنساء الحوامل هي الانتقال ليطا قبل شهر أو شهرين من موعد الولادة، مما يفرض عليهن الانفصال عن العائلة خلال الأشهر الأخيرة من الحمل.

16 بين شهري أيار وتشرين الأول عام *2021*، تم التعامل مع *537* حالة مرضية مزمنة، في *68* عيادة متنقلة، أي بمعدل *7.9* حالة مرضية مزمنة لكل عيادة متنقلة. بين شهري أيار وتشرين الأول عام *2022*، تم التعامل مع *354* حالة مرضية مزمنة، في *61* عيادة متنقلة، أي بمعدل *5.8* حالة مرضية مزمنة لكل عيادة متنقلة. وهذا انخفاض بمعدل *34.1%* في التعامل مع الحالات المرضية المزمنة، وانخفاض بمعدل *26.6%* في التعامل مع الحالات المرضية المزمنة لكل عيادة متنقلة.

ستترك هذه الصعوبات في الوصول للرعاية الطبية في الوقت المناسب والتي عبر عنها سكان مسافر يطا آثاراً طويلة المدى على صحة الناس، لأن تأخير الوصول للرعاية الطبية يؤدي إلى تطور الحالات المرضية وتدهورها[17].

إن إعاقة وتأخير سيارات الإسعاف، والاعتداءات على الطواقم الطبية، ومصادرة السيارات، وحظر وصول الأقارب من مدينة يطا للقرى، كلها تجعل سكان مسافر يطا في وضع حرج أكثر في حالات الطوارئ الطبية، حيث يصبح من غير المضمون إمكانية وصولهم للمستشفى في الوقت المناسب أو الوصول أساساً.

"الوضع صعب. تخيل أن يكون ابنك مريضاً وتريد أخذه إلى الطبيب ولكن لا توجد سيارة والطريق طويلة. وإذا أردت الذهاب سيراً على الأقدام تحتاج على الأقل أربع ساعات. حتى عندما تكون في صحة جيداً قد يسبب هذا لك التوعك".
جَملة، إحدى سكان خربة الفخيت في مسافر يطا.

محمود، من سكان المركز في مسافر يطا. الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

الصحة الجسدية تتأثر بظروف المعيشة الرديئة

يؤثر هدم المنازل والمراحيض وخزانات المياه إلى جانب قيود الحركة التي تعيق الوصول لمصادر المعيشة والدخل والخدمات الأساسية على العافية بشكل عام. يُفيد سكان مسافر يطا أن نظامهم الغذائي أصبح غير متزن ومحدوداً بسبب محدودية إمكانية الوصول للمتاجر والأسواق في يطا، وارتفاع أسعار الغذاء، والموارد المادية المحدودة التي يمكن صرفها على شراء الأغذية الطازجة. ويؤثر هذا بشكل مباشر على

17 Prentice JC, Pizer SD. Delayed access to healthcare and mortality. Health Serv Res. Apr 2007 Apr;42(2):644-662. doi: 10.1111/j.1475-6773.2006.00626.x. PMID: 17362211; PMCID: PMC1955366.

"لقد تدهورت صحتنا، ونحن نحس بالتعب الجسدي الشديد. لو كان قطيع الماشية في مكان مفتوح، فلن نحتاج أن نُعدَّ له وجبات إطعام ولكن عندما يكون محجوزاً في الحظيرة بين المنازل، لأن الجيش يمنع الاقتراب من الجدار، فعلينا إطعامهم وتنظيف مخلفاتهم، وهذا عمل مُتعب. حتى الأطفال عليهم المساعدة، يستيقظون في الرابعة والنصف فجراً للمساعدة في إطعام الماشية قبل الذهاب للمدرسة، ثم بعد المدرسة عليهم أن يتابعوا العمل"

راما*،

إحدى سكان تجمّع الحلاوة في مسافر يطا

مسافر يطا 2022. الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

ولاحظ طاقم أطباء بلا حدود الطبي والنفسي أن الناس يعطون الأولوية لتوفير العلف والماء لقطعانهم على الحصول على غذاء لأنفسهم وعلى السعي للحصول على الدعم الطبي. هذه التضحية بالنفس تُعتبر آلية تكيف طويلة الأمد لأن دخلهم -وبالتالي الغذاء والقدرة على الاستمرار بالعيش في مسافر يطا- يعتمد على مواشيهم. وقال آخرون تم إجراء مقابلات معهم أن الوصول لمياه الشرب أصبح أصعب وأكثر كلفةً. وفي شهر فبراير/شباط 2019، تم اقتلاع ومصادرة شبكة مياه تخدم 12 قرية في مسافر يطا[18]. كما يتم فصل أنابيب المياه الباقية بشكل دوري ويتم تدمير خزانات المياه ويتم إيقاف ومصادرة الشاحنات التي تعمل على توصيل خزانات مياه. وهذه التحديات تصبح أكثر تعقيداً بسبب قلّة هطول المطر في المنطقة.

بناءً على ما هو معروف من عواقب التأخر في الوصول للرعاية الطبية، والنظام الغذائي المُقيد أو غير المتزن[19]، وعدم توفر مياه الشرب بشكل كافي[20]، **تعبّر منظمة أطباء بلا حدود عن بالغ القلق حول العواقب السلبية على صحة وعافية الناس التي تسببها قيود الحركة الاعتباطية والإجراءات التقييدية الأخرى.**

18 *B'Tselem. (2019, 13 February).* Civil Administration cuts and confiscates water pipes servicing 12 communities in the Masafer Yatta area in South Hebron Hills (btselem.org) *OCHA Protection of Civilians Report, 12-25* February 2019 Protection of Civilians Report | 12 - 25 February 2019 | United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs - occupied Palestinian territory (ochaopt.org)

19 *WHO. (2021, June 9). Malnutrition [Factsheet].* Fact sheets - Malnutrition (who.int)

20 *WHO. (2021, June 9). Malnutrition [Factsheet].* Fact sheets - Malnutrition (who.int)

III. المعاناة اليومية تترك عبئاً هائلاً على الصحة النفسية للأفراد

"إنها حياة مرعبة، على مدار الساعة"

عيسى،
مُدير مدرسة تم هدمها في اصفية الفوقا

تقدم منظمة أطباء بلا حدود خدمات الرعاية الصحية والدعم النفسي في الضفة الغربية.
الصورة بعدسة: ألفريدو كاليز/ البايز سيمانا .

عدم وضوح المستقبل والتحديات اليومية المطلوبة لمجاراة قيود الحركة الشديدة تسبب بإنهاك الصحة النفسية للأفراد. ويرى الأفراد أن السياسات الإسرائيلية صُممت لخلق بيئة من الخوف لإرهاق سكان مسافر يطا ذهنياً حتى يستسلموا ويغادروا المنطقة. ولكن يُعبر سكان مسافر يطا عن إرادة قوية ترفض مغادرة بيوتهم وأرضهم، ولكنهم في الوقت نفسه يُعبرون عن فقدان الأمل بالمستقبل.

"الخطة تهدف إلى اقتلاعنا من المنطقة، لكننا سنبقى هنا حتى لو بقت لدينا دجاجة واحدة فقط".
ياسر*، أحد سكان تجمّع الحلاوة في مسافر يطا.

إنّ مخاوف الناس مبررة. حيث تُهدم المنازل ويُقتل الأبرياء – بما في ذلك الأطفال- في الضفة الغربية، ويشدد خبراء الصحة النفسية في أطباء بلا حدود على أهمية تفادي إضفاء صفة المرض على الحالة النفسية للناس. حيث يؤكد مختص الصحة النفسية في أطباء بلا حدود أن **"مشاكل الصحة النفسية هي ردة فعل طبيعية لظرف غير طبيعي أو حتى مرضي"**. ويبقى الناس صامدون ويتأقلمون مع وضع مؤذٍ نفسياً، وعندما لا يُفسح المجال للأمل تتفاقم المعاناة.

ويفيد فريق الصحة النفسية لمنظمة أطباء بلا حدود أن الأمهات يقلقن عند انتظار عودة أبنائهن بأمان كل يوم. وأخبرت إحدى الأمهات طاقمنا: "يمكن أن تُطلق النار عليهم أو أن يُقتلوا بدون سبب، ثم يقولون إنهم حاولوا الهجوم على الحاجز. تتم الإعدامات دون أي محاكمة".

تقول سمر*، إحدى سكان تجمع شعب البطم في مسافر يطا تعليقاً على هدم منزلها قبل يوم: **"تشعر بأنك على وشك الانفجار، حيث سُلب شيئ منك ولا تستطيع القيام بشيء حيال ذلك".**

مشاعر عدم الأمان الممتدة لفترة طويلة والخوف المستمر ينتشر في كل مناحي الحياة في مسافر يطا.

ويصف الأهل الخوف الدائم على سلامة أبنائهم في طريقهم للمدرسة وفي المدرسة وحتى في منازلهم حيث يخاف الأطفال من تواجد الجنود والمستوطنين.

كما يتم تعطيل التعليم بشكل متكرر بسبب قيود الحركة حيث يتم تأخير المُعلمين على الحواجز ويقلل الخوف من القدرة على التركيز في بيئة تعليمية آمنة. وأبلغت أم طاقم منظمة أطباء بلا حدود أن ابنها الصغير كان يرتدي قميصاً عليه صورة سلاح ثم أوقفه جندي وأجبره على خلعه والعودة للمنزل عاري الصدر.

تجعل طبيعة الاحتلال والقمع غير المتوقعة من المستحيل للأفراد إيجاد السكينة لأنهم لا يعرفون ماذا سيحصل في المستقبل. ويروي الكثير من مرضى أطباء بلا حدود عن شعورهم بالإرهاق والمعاناة مع النوم. كما يشعر الناس بالخوف من مغادرة منازلهم. كما يرجح أن يبقى الأطفال ي منازلهم، ويشتكي البعض من أعراض صحية كالتبول اللاإرادي.

"سيؤثر ما رأيناه وما فعلوه على الأطفال لسنوات. خلال ساعة واحدة حطموا الآمال والأحلام". عيسى، مدير المدرسة التي هُدمت في تجمع اصفية الفوقا في مسافر يطا

بين عامي 2021 و2022، لاحظت منظمة أطباء بلا حدود ارتفاعاً حاداً في أعداد الذين يطلبون الحصول على الدعم النفسي من سكان مسافر يطا، بعد أن عايشوا اقتحامات المنازل أو تدمير المنازل أو غيرها من الممتلكات. بين شهري مايو/أيار وأكتوبر/تشرين الأول عام 2021 و2022، ازداد عدد المرضى الذين

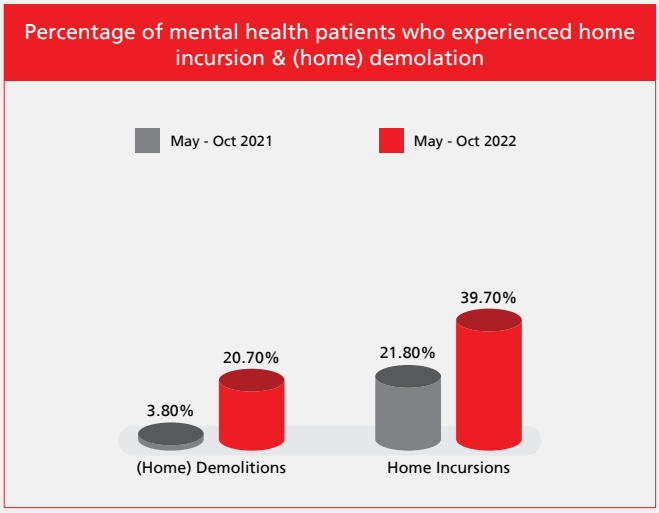

الرسم البياني 1: إزدياد عدد المرضى الذين تعرضوا لإقتحامات المنازل وحالات هدم.

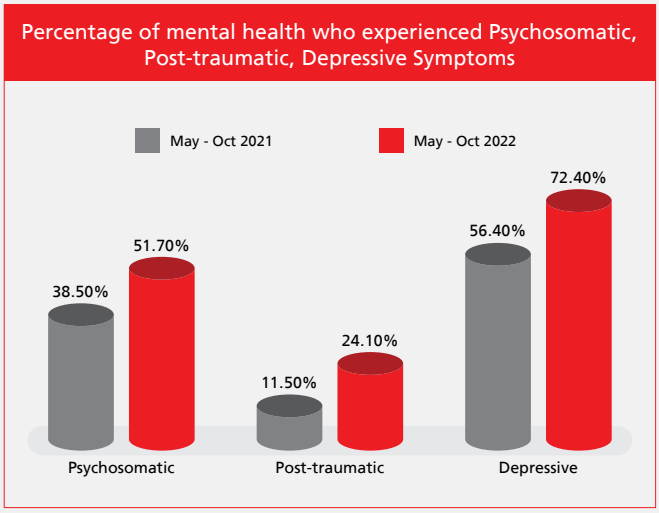

الرسم البياني 2: ازدياد أعداد المرضى الذين يعانون من أعراض نفسية جسدية، وأعراض ما بعد الصدمة وأعراض الاكتئاب.

عايشوا اقتحامات المنازل من 20.7 في المئة إلى 39.8 في المئة، بينما ارتفع عدد الذين هُدمت منازلهم من 3.8 في المئة إلى 21.8 في المئة. (الرسم البياني 1).

أثرت هذه الأحداث بعمق على الصحة النفسية وعافية السكان والذين يعانون أصلاً من التوتر وانعدام اليقين حول مستقبلهم ومشاعر انعدام الأمان بشكل عام. وبعد هذه الأحداث، أفاد أكثر من نصف المرضى عام 2022 ازدياد الأعراض النفسية الجسدية، كما أظهر ربعهم أعراض ما بعد الصدمة، ووصف ثلثا المرضى المعاناة من أعراض اكتئاب (الرسم البياني 2).

"شعرت بالاختناق وكأني لا أرى وأن يداي مقيدتين. لم أستطع القيام بأي شيء".
ندى*، إحدى سكان شعب البطم في مسافر يطا والتي هُدم منزلها قبل يوم.

علقت **مديرة أنشطة الصحة النفسية في أطباء بلا حدود** على هذه البيانات قائلة: "هذه الاستنتاجات مهمة ولكنها ليست مفاجئة. ترتبط الصحة النفسية بأساسيات الحياة بما في ذلك الكرامة والحقوق الأساسية كحق حماية الذات وحماية الأطفال، والحق بالحصول على مستقبل، والحق بالخصوصية. وقد سُلب كل هذا من سكان مسافر يطا حيث يُعاملون كأنهم دون الآخرين أو أنهم أقل قدراً من البشر. وهم غير مرحب بهم في أرضهم. كما سُلبت قدرتهم على الاعتراض على ما يحدث لهم وما تم أخذه منهم. هم يعيشون لكنهم تُركوا دون خيار أو قدرة على التحكم بحياتهم، وهذا يعني أنهم مُعرضون للتأثر بشدة من أي شيء قد يحدث".

صعوبة السيطرة على ردة الفعل الانفعالية والتوتر والقلق والاكتئاب تؤدي إلى بروز مشاكل أكثر بين العائلات وفي المجتمع.

الأثر على العنف المنزلي

لاحظت منظمة أطباء بلا حدود أنه في فترات ازدياد العنف السياسي في مسافر يطا يكون هناك ازدياد في أعداد المرضى الجدد الذين يبلغون عن تعرضهم للعنف المنزلي، وهذا يتماشى مع ما هو معروف حول الربط بين العنف المنزلي وحدوث عنف من الأزواج على الزوجات في الضفة الغربية[21]. خلال مقابلات منظمة، عبّرت نساء من المجتمع عن أن القمع والإكراه المتزايدين من القوات الإسرائيلية يؤثر على العلاقات العائلية، حيث قالت إحدى النساء: "يحدث اقتتال بين العائلات بسبب الضغط. ويبدأ ذلك بين الأزواج ثم تبدأ الزوجات بالتصرف مثلهم". وهذا لا يتعارض مع ما يشهده طاقم أطباء بلا حدود خلال جلسات الصحة النفسية حيث أوضح أحد موظفي الصحة النفسية في منظمة أطباء بلا حدود ان **"الناس يصبحون أكثر شدة لكي يصمدوا لأن كل شيء صعب، ولا يفرقون بين العدو والعائلة والذات. والأهل لا يعتقدون أنهم يسيئون لأبنائهم، ولكن يعتقدون أنهم يجعلونهم أقوى. وهم شديدون لأنهم يتوقعون أن تكون الحياة شديدة وغير آمنة على أبنائهم ولذلك يحضرونهم ليكونوا هم أشداء كذلك. كما يعتقدون أن أفضل طريقة لكي يطيعهم أبناءهم هي ممارسة السلطة عليهم"**.

تُظهر بيانات أطباء بلا حدود أن 50% من مرضى الصحة النفسية – الأغلبية العظمى منهم من النساء والأطفال – يفيدون أنهم تعرضوا للعنف المنزلي. يتسرب العنف السياسي إلى المنزل وإلى العلاقات العائلية. فالإخلال بديناميكية العلاقات المنزلية، يجعل الوضع الذي لا يطاق أصلاً أكثر صعوبةً، خاصة للناس الأكثر ضعفاً في المجتمع.

21 Clark, C.J., Everson-Rose, S.A., Suglia, S.F., Btoush, R., Alosno, A., & Haj-Yahia, M.M. (2010). Association between exposure to political violence and intimate partner violence in the occupied Palestinian territory: a cross-sectional study. The Lancet, 375: 310–316.; Haj-Yahia, M.M., & Clark, C.J. (2013). Intimate partner violence in the occupied Palestinian territory: Prevalence and risk factors. Journal of Family Violence, 28: 797– 809.; Müller, C., & Tranchant, J.-P. (2017). Tackling violence against women and girls in Gaza. International Institute for Environment and Development. http://www.jstor.org/stable/resrep02733

الاستنتاجات

> "نحن بشر، ولكن هنا، الإنسانية حكر للبعض وليس للكل"
>
> **أحد موظفي أطباء بلا حدود*،**
> الخليل، الضفة الغربية

محمود، أحد سكان المركز في مسافر يطا، والذي هُدم منزله في شهر أيار عام 2022.
الصورة بعدسة – خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

تؤثر البيئة العدائية في مسافر يطا سلباً على صحة السكان بما يصل إلى أبعد من الناس المتضررين مباشراً من العنف. ووفق أحد موظفي الصحة النفسية في أطباء بلا حدود فإن "بعض المرضى يزداد وضعهم سوءاً منذ شهر مايو/أيار حيث يؤثر الوضع العام على حالاتهم الفردية". علاوة على ذلك، بالإضافة للعنف يؤثر القمع والإكراه اليومي سلباً على الحياة اليومية للأفراد، وعلى وصولهم للرعاية الطبية وخدمات الصحة النفسية كما يؤثر على علاقاتهم العائلية وفي نهاية المطاف على مستقبلهم. وفي مسافر يطا، أصبح الإذلال والأخطار التي يسببها الاحتلال جزءاً من واقع الحياة اليومية، وقد تأتي على شكل قيود الحركة أو هدم المنازل أو العنف أو مصادرة السيارات أو الاقتحامات الليلية أو الاعتقالات أو المضايقات على الحواجز أو تحويل القرى لسجون مفتوحة، وكل هذا بهدف دفع الفلسطينيين لمغادرة منازلهم والابتعاد عن أراضيهم.

قدرة سكان مسافر يطا على "التعايش" مع ظروف لا تطاق لا تعني أنهم لا يتأثرون بها بشكل كبير. فهي تؤثر على حياتهم ومعيشتهم وصحتهم النفسية وقريباً ستؤثر على صحتهم الجسدية إذا لم تفعل ذلك مسبقاً. ويحتاج السكان إلى الدعم ولكن لن يساعدهم الدعم مهما كان حجمه بقي الجنود والمستوطنون متواجدين ومستمرين في مضايقتهم وعنفهم. ووفق أحد موظفي الصحة النفسية في أطباء بلا حدود "لن يتغير أي شيء إذا بقيت الظروف على حالها".

وبينما يمر سكان مسافر يطا بظروف صعبة بشكل خاص، يكمن إسقاط معاناتهم وتطبيقها على حياة الفلسطينيين الآخرين الذين يعيشون في الضفة الغربية. وهذا ينعكس في الآراء التي يشاركها زملاؤنا الفلسطينيون:

يقول أحد موظفي أطباء بلا حدود في الخليل في الضفة الغربية: **"نحن مرهقون ونشعر بالقلق. نتوقع حدوث الأمور السيئة ونتوقع أن تصبح الأوضاع أسوأ. نحن نمر بأوقات صعبة، ومن الصعب سماع القصص التي تروى علينا خلال جلسات العلاج لأنها جزء من نفس الصراع الذي نمر به. في بعض الأوقات تخف وطأة الأمور وتجعلك ترغب في تنفس الصعداء ولكن في اللحظة التي تفعل هذا تصبح الأمور أسوأ مجدداً. أحاول الاستمتاع بلحظات الهدوء ولكني أعرف أنه يجب أن أتوقع أن تسوء الأمور مجدداً. في يوم أو ساعة تكون الأوضاع مستقرة وخلالها نرقص ونستمتع بوقتنا لأننا نعرف أن هذا لن يدوم".**

الشهادات التي جمعناها في هذا التقرير تعكس قوة وشجاعة وإنسانية الفلسطينيين الاستثنائية، ولكنها تعكس كذلك فقدان الأمل والخوف الذي يشعرون به يومياً على أنفسهم وعلى أحبائهم. يستحق أهل مسافر يطا وزملاؤنا وكل الفلسطينيين أكثر من هذا، ويستحقون الحصول على الرعاية الطبية وخدمات الصحة النفسية والصحة الجسدية والعيش في بيت آمن وفي أمان وإنسانية.

المطالبات والتوصيات

تُدين منظمة أطباء بلا حدود إجراءات السلطات الإسرائيلية التي تهدف إلى الضغط بشدة على سكان مسافر يطا لكي يغادروا المنطقة. وبالإضافة لهدم بيوت السكان، قامت السلطات بنصب الحواجز، وصادرت مركبات السكان، وفرضت حظر التجول وقيود أخرى على الحركة. هذه الإجراءات، والتي اشتدت وتيرتها منذ شهر مايو/أيار 2022، أثرت بشكل كبير على حرية الحركة والصحة النفسية والقدرة على الوصول للخدمات الأساسية بما في ذلك الرعاية الطبية. لذا، تدعو منظمة أطباء بلا حدود إلى ما يلي:

تدعو الحكومة الإسرائيلية إلى:

- وقف المصادرات وهدم منازل ومدارس وممتلكات الفلسطينيين وبنيتهم التحتية في مسافر يطا فوراً. والتوقف عن إصدار أوامر الهدم الجديدة وعدم التدخل لإيقاف إعادة بناء الممتلكات المهدومة. وضمان امتثال إسرائيل لالتزاماتها حسب القانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان الدولي واللذان يحميان الناس في مسافر يطا من الإخلاء القسري والتهجير القسري والنقل القسري الفردي أو الجماعي.
- التوقف عن فرض قيود الحركة الاعتباطية في مسافر يطا – بما في ذلك مصادرة السيارات والممارسات التمييزية على الحواجز – والتي أعاقت مرور مُعلمي المدارس والرعاة وسيارات الإسعاف وقوضت الوصول لخدمات الرعاية الصحية والتعليم ومصادر المعيشة.
- ضمان التزام القوات الإسرائيلية بالتزامهم حسب القانون الإنساني الدولي لضمان المحافظة على الخدمات الطبية في المنطقة المُحتلة بأكبر قدر ممكن. ويجب السماح للطواقم الطبية بتنفيذ واجباتهم دون أي تأخير أو تعطيل غير مبرر. وهذا يشمل اشتراط السماح لسيارات الإسعاف بالتحرك بحرية والاستجابة لطلبات المساعدة.
- الامتناع عن تنفيذ "إجراءات أمنية" مفرطة كاقتحامات المنازل ليلاً والتي تخرق الخصوصية وتخلق إحساساً بالإذلال والخوف المستمرين بين السكان الفلسطينيين في مسافر يطا.
- احترام والوفاء بالتزامات إسرائيل كسلطة مُحتلة لتوفير الأمن للفلسطينيين وأبنائهم، وهذا يشمل الحماية من عنف المستوطنين.

تدعو السلطة الفلسطينية إلى:

- تقديم المساعدة للفلسطينيين في مسافر يطا.
- توسيع نطاق تقديم الرعاية الطبية (الطارئة) في القرى التي يصعُب الوصول إليها في "منطقة إطلاق النار"، وهذا يشمل زيادة الخدمات المقدمة للنساء الحوامل والمرضعات، والخدمات للذين يعانون من أمراض مزمنة، وللأشخاص ذوي الإعاقة، والذين قد يحتاجون للخدمات الطبية بشكل أكبر.
- زيادة الجهود الهادفة إلى بناء استراتيجية صحة نفسية شاملة ليتم إدماجها في عمل مرافق الصحة العامة على مستوى الرعاية الأولية لضمان إعطاء رعاية متكاملة الجوانب.

تدعو أطرافاً ثالثة – بالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة والأردن والإمارات العربية المتحدة ومصر- إلى:

- على المجتمع الدولي التدخل عاجلاً، خاصة الأطراف الثالثة - بالتحديد الولايات المتحدة الامريكية، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة والدول العربية التي طبّعت علاقاتها مع إسرائيل- والتصرف بشكل فردي وجماعي لمطالبة الحكومة الإسرائيلية بالتوقف عن انتهاكات قانون حقوق الإنسان الدولي والقانون الدولي الإنساني في مسافر يطا.
- الضغط على إسرائيل من أجل ضمان الوصول للرعاية الطبية، ومن أجل التوقف عن عمليات الهدم والمصادرة وأيضاً أن تتوقف عن إصدار أوامر الهدم وأن تُنهي قيود الحركة، وأن تتخذ إجراءات تجاه عنف وترهيب المستوطنين، وأن توقف المعاناة غير الضرورية الناتجة عن المضايقات المستمرة والإذلال.
- الإقرار بأن إجراءات إسرائيل التقييدية، والقمع والإكراه تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الصحة النفسية والجسدية لسكان مسافر يطا، حتى لو لم تتم عمليات الإخلاء الجماعية بعد، ومع مرور الوقت يجعل هذا حياة الفلسطينيين لا تطاق ولا يمكن أن تستمر في مسافر يطا، مما يعني أنها تؤدي على أرض الواقع إلى الإخلاء القسري. وعندما يحدث هذا ويتم تهجير مجتمع بأكمله، فإن الضرر الذي يقع لا يمكن إصلاحه.
- المطالبة بالمحاسبة على هدم المباني الممولة من مانحين في مسافر يطا.
- ضمان تقديم التمويل اللازم للأنشطة الإنسانية التي تنفذها المنظمات الدولية وبالأخص المحلية التي تستجيب بشكل مباشر لاحتياجات الناس في مسافر يطا، بما يشمل تقديم المساعدة في إعادة بناء المنازل والمباني المجتمعية التي تم هدمها وتقديم خدمات طبية وخدمات نفسية اجتماعية.

تم تغيير الأسماء المُعلمة بإشارة * حفاظاً على السرية

"لقد أخبرتكم قصتي، ولكن لن يستطيع أحد الإحساس بالألم إلا الذي يعيشه"

عيسى، أحد سكان مسافر يطا.

صورة الغلاف:
خوان كارلوس توماسي/ أطباء بلا حدود

للتواصل:

+972-598944928

Msff-jerusalem-com@paris.msf.org

Msfe-jerusalem-comofficer@barcelona.msf.org

MEDECINS SANS FRONTIERES

أطبّاء بلا حدود